

أنثروبولوجيا الإحتفال الديني ببني عباس – المولد النبوي أمودجا  
The anthropology of the religious celebration of Bani Abbas  
the prophet's birth model

د. كيم صبيحة<sup>1\*</sup>

<sup>1</sup>جامعة عبد الحميد بن باديس –مستغانم

kimesabiha@yahoo.fr

د.عابر حفيظة<sup>2</sup>

<sup>2</sup>جامعة وهران 02

hafidaber@gmail.com

تاريخ القبول: 2021/05/28

تاريخ الاستلام: 2021/02/24

ملخص:

تشهد الجزائر نشاطا هاما بالاحتفالات الدينية منذ العصور القديمة، خاصة ما يتعلق بالاحتفال الديني من مهرجانات، خاصة بالأولياء الصالحين والزوايا...إلخ. إذ يعتبر الإحتفال بالمولد النبوي الشريف من أهم النشاطات الدينية في الصحراء الجزائرية وهو موروث إجتماعي وثقافي راسخ منذ القدم في بني عباس يحضره سنويا العديد من المواطنين المحليين والدوليين، ومن أهم المراسيم التي يتميز بها نجد ترديد المدائح والقصائد الدينية التي تُلقى بجلسات الحضرة والذكر عبر المساجد والزوايا وارتداء زيّ خاص بالمناسبة، تحضير المأكولات وختان الأطفال وتبادل إطلاق البارود، ما جعلها نموذج من نماذج الإحتفالات الدينية المقرونة بالمنطقة الصحراوية خاصة. الهدف من هذه الورقة إعادة هذه المشاهد والصور الفريدة من نوعها ووضعتها بالإطار الأنثروبولوجي الذي زاد للتظاهرة عمقا ثقافيا، يتوارثه أسر بني عباس منذ الزمن القديم.

الكلمات المفتاحية: الإحتفال الديني، المولد النبوي، المجتمع الصحراوي، بني عباس، الطقوس.

**Abstract:**

Algeria has been witnessing an important activity with religious celebrations since ancient times, especially with regard to the religious celebration, such as festivals dedicated to the good parents and visitors...etc. The celebration of the

---

\*المؤلف المرسل: د. كيم صبيحة، الإيميل: kimesabiha@yahoo.fr

Prophet Mohammed is one of the most important religious activities in the Algerian desert. It is a well-established social and cultural heritage from ancient times in Beni Abbas, which is attended annually by many local and international citizens. The objective of this paper is to restore these unique scenes and pictures and put them in the anthropological framework, which has widened the cultural background of the demonstration, inherited by the families of Bani Abbas from ancient times.

**Keywords:** Religious celebration, Prophet's birth, Sahrawi society, Bani Abbas, rituals.

#### مقدمة:

ارتبط التاريخ الإسلامي بالأعياد والاحتفالات الدينية عبر العصور والتاريخ، وبنقله من المشرق إلى المغرب، فمن أهم هذه المظاهر الثقافية للدين الإسلامي: الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، الذي أحياه أهل مكة المكرمة بالقرن السادس هجري (12 ميلادي) والذي يبدأ ببداية ربيع الأول.

أما بالمغرب الكبير فبوصول المرينيين إلى الحكم بدأ هذا الاحتفال يشيع في الأوساط الشعبية والرسمية، ومع تولي أبو حمو موسى الثاني مقاليد الحكم بتلمسان سنة 760هـ/1359م، أقر الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بصفة رسمية (قويسم محمد، 2017، ص511)، رغم اختلاف الفقهاء والعلماء حول جوازه من عدمه، لما صاحبه من غناء وشعر ومدائح؛ تبنتها الطرق الصوفية وساهمت في ترسيخها ضمن الهوية الدينية لبلاد المغرب.

الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بالجزائر اليوم يندرج في سياق السياحة الدينية، هذه الأخيرة تنشط في البلدان التي تحوي على مقدسات دينية كمكة المكرمة، والفاتيكان وغيرها، فتعرفنا بالتاريخ الديني للمكان؛ ومن جهة أخرى تعمل على الحفاظ عليه للتعبير عن هويتها ومعتقداتها وتوريثه للأجيال خاصة في ظل المتغيرات العالمية.

إذ حظيت بني عباس - وهي منطقة متواجدة في ولاية بشار جنوب الجزائر - كمدينة للاحتفال السنوي بالمولد النبوي منذ سنوات عديدة؛ على اعتباره حدثا دينيا وثقافيا عريقا، نظمه الأجداد وتوارثه الأبناء، حيث يعتبر ميراث المقتنيات المادية وغير المادية التي تخص مجموعة ما؛ أو مجتمعا لديه موروثات من الأجيال السابقة، وظلت باقية حتى الوقت الحاضر ووهبت للأجيال المقبلة (اليونسكو، 2017).

هذه الاحتفالية تعد تراثا دينيا ثقافيا، يشارك به أفراد من داخل الوطن وخارجه، لإحياء هذه الليلة المباركة بالمدائح والقصائد الدينية التي تُلقى في جلسات الحضرة والذكر عبر المساجد والزوايا، وارتداء زيٍّ خاصٍّ بالمناسبة؛ وتحضير المأكولات وختان الأطفال. فالمولد النبوي ينتمي إلى الأنشطة الدينية الثقافية الإجمالية ويتم التعبير عنها بلغات متعددة إنطلاقا من لغة الإشارة إلى اللغة المنطوقة ومن اللباس الكهنوتي إلى الكتابات والنقوش على الجدران، والذي ينتج عنه إطلاق تسميات مختلفة وإخفاءها حسب طبيعة البناء التركيبي لثقافة ما (Roger Bastide, 1975). ونحن نسعى البحث بمجال الأنثروبولوجيا الدينية للكشف عن نموذج الإحتفال الديني لمنطقة بني عباس والتي يتبعها الأفراد مشكلة البنية التركيبية لمختلف أشكال التعبير الثقافية مجتمعة بحفل مراسيمي سنوي.

حيث لكل مجتمع طقوسه وإحتفالاته المعبرة عن الحدث، وعن خصوصيته في الإحتفال سواء تعلق الأمر بالزواج، الختان أو الأعياد الدينية، وهذه الطقوس تظهر من خلال اللباس والطعام والمديح الذي يتم ترديده. وهذا ما يختص به مجتمع بني عباس في طريقة إحتفالهم بالمولد النبوي التي إشتهرت بها وإستقطبت الكثير من السياح المهتمين بالإحتفال الديني.

ومن خلال ذلك نحاول الإجابة على الإشكال التالي :

كيف ظهر احتفال بالمولد النبوي عبر تاريخ المنطقة ؟ وكيف يتم الإحتفال به بمنطقة بني عباس ؟ وماهي أهم الطقوس التي تتم خلال الإحتفال؟

**أولا: المدخل المنهجي**

**1- أهمية وأهداف البحث :**

فعبّر هذا الاحتفال الشعائري الديني السنوي تشكل طقس اجتماعي يتكرر عند الحاجة الإجتماعية والمناسبة، حيث يتوافد عليها الكثير من الجزائريين من المنطقة الغربية (وهران، تلمسان...) بغرض اكتشاف مميزات الثقافة الدينية بمختلف ممارساتها الاجتماعية، وأيضا ارتباطها بخصوصية الهوية الدينية لمنطقة بني عباس، إذ أنّ هناك نشاط تنموي يحققه هذا الإحتفال بهذه المنطقة وأصبح يلي الحاجة الإقتصادية والإجتماعية والثقافية لمنطقة بني عباس، فتحول النشاط الديني لهذه الاحتفالية إلى نشاط

تنموي محظ لمجتمع بني عباس مرتبط بالمسجد والجمعية الثقافية، والسلطات المحلية، والسياحة المحلية والدولية.

وهذا ما دفعنا إلى البحث عن علاقة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف كنموذج بمجتمع بني عباس ومدى مساهمته في ترسيخ المعتقد الديني من خلال ممارسات الطقوس والشعائر والتصورات وأشكال التعبير والمهارات وما يرتبط به من حرف وصناعات تقليدية، والهادفة إلى التصدي أمام تلاشي واندثار الهويات الدينية بالمجتمع الجزائري.

العمل على دراسة الظاهرة الدينية والتعريف بها لما لها من أهمية ثقافية وسياحية، حيث انما تستقطب الكثير من السواح المحليين والدوليين، وتعد إضافة لما تعرض له الباحثين بهذا المجال المعرفي رغم قلة الدراسات الأنثروبولوجية حول الإحتفال بالمولد النبوي.

## 2- البعد المفاهيمي للإحتفال بالمولد النبوي:

ارتبط الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بالفاطميين في القرن الثالث الهجري، والذي عُرف باحتفالهم لستة مواليد في كل من مصر وتونس، وهي مولد الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، ومواليد آل البيت عليهم السلام علي ابن أبي طالب والحسن والحسين وفاطمة الزهراء، ومولد الخليفة الحاضر (محمد التهامي، 2014، ص50).

وقد كان أهل مكة المكرمة يحتفلون بدورهم بالمولد النبوي، وهذا لوصف ابن جبير الرحالة الأندلسي في زيارته لمكة المكرمة عام 579 هـ بكتابه "تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار". أن مقام مولد الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة يفتح في شهر ربيع الأول ويوم الاثنين بالتحديد ليدخل الناس متبركين (محمود علي مكي، 1991، ص103).

وفي مصادر أخرى أُقرّ بالاحتفال بالمولد النبوي بشكل رسمي على يد حاكم أربل بالعراق، الملك مظفر الدين بن زيد الدين عام 604هـ، والذي وثّقه علماء من بينهم الشيخ أبو الخطاب ابن دحية وهو من علماء المغرب، بمؤلف عنوانه "التنوير في مولد السراج المنير"، وقرأه عليه بنفسه فأجازه بألف دينار، ظل يقرأ هذا الكتاب في مشهد حافل في أيام المولد النبوي من كل سنة (أبوري خديجة، )، فيتوافد على الاحتفال من البلاد القريبة من أربل مثل بغداد والموصل والجزيرة، وعدد كبير من الفقهاء والصوفية

والوعاظ، والشعراء، وكان يصرف فيها أموال كثيرة حتى بلغت ثلاث مائة ألف دينار، فأخرج من الإبل والبقر والغنم شيئاً كثيراً وزفها بالطبول والأناشيد حتى يأتي بها إلى الميدان ويشرعون بذبحها وطبخها، فإذا كانت صبيحة يوم المولد، يجتمع الناس والأعيان والرؤساء، وينصب كرسي للوعظ ويجتمع الجنود ويعرضون في ذلك النهار، ثم تقام موائد للطعام (عبد الباقي خلف، 2017، ص 105).

تواصل الاحتفال بالمولد النبوي في مختلف الدول والملوك كالعباسيين والعلويين والشيعة قبل ذلك، لكن ظهوره بالمغرب الأقصى كان متأخراً مقارنة بالمناطق الأخرى، وأول من دعا إليه هو أبو قاسم العزبي السبتي في القرن السابع الهجري، عندما تولى إمارة سبتة برغبة من والده أبو العباس العزبي بعام 648هـ في أول ربيع من إمارته، فلاحظ مجازات المسلمين في احتفالات النصارى كعيد النيروز (أول يناير)، وميلاد سيدنا المسيح (25 ديسمبر) في تلك الفترة، وكان أبلغ حرصه المحافظة على الهوية الإسلامية، فبدأ يطوف على الكتائب القرآنية بسبتة ليشرح المغزى والغاية من الاحتفال (أبوري خديجة، ) ، وأتم أبو القاسم العزبي كتاب والده بعنوان "الدر المنظم في مولد النبي المعظم" وهذا عناية بمولد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وعمل على إشاعة هذا الاحتفال بالمغرب على يد المرينيين بعهد يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني أواخر صفر عام 691هـ بشكل رسمي ومعتم (محمد التهامي، 2014، ص 66).

فتبنت الدولة القيام بالاحتفال والتكفل بمصاريف هذه الليلة في عهد أبي حسن لمريني (731هـ- 749هـ) في سائر جهات المملكة، فاتخذت هذه الاحتفالات طابع الاحتفاء بالذبائح والحلويات والبخور والطيب ومظاهر الزينة والتأنق في إعداد المجالس (محمد بن مرزوق التلمساني، 1981). وفي عهد الخليفة المنصور السعدي بدولة السعديين؛ اتخذ المولد النبوي أكبر احتفال رسمي للدولة، فكان يجيئه في قصره بمراكش بشكل فخيم، بتزيين الشموع وإنشاد القصائد والمولدات (إبراهيم حركات، 1978، ص 36).

وقد استحسنه الكثير من علماء وأئمة ذلك العصر وألحقوه بأعياد المسلمين واعتبروه أمراً مباحاً واستوصوا به واستحسنوا مقاصده، ثم تطورت مراسيم الاحتفال حتى أصبحت جزءاً من التقاليد بعهد الدولة العلوية، فنالت عناية ورعاية حملت صورها كتب التاريخ من خلال المؤرخين، ولا تزال بعض المالبيك تحتفل بالمولد النبوي بنفس طريقة الحفل السلطاني.

### 3- منهجية الدراسة وتقنياتها :

لإنجاز هذه الورقة ارتأينا النزول إلى الميدان خاصة أن فترة الاحتفال بالمولد النبوي كانت متزامنة مع كتابة هذا العمل، فتمّ التحضير للمشاركة بهذا الاحتفال في منطقة بني عباس، خاصة أنها تحمل طابعا شعائريا متميزا على المستوى الوطني.

تم الانتقال لمعيشة الحدث لمدة ثلاثة أيام (19-21 نوفمبر 2018)، واستعنا بالمنهج الإثنوغرافي "الذي يندرج ضمن البحوث التي يقوم بها الدارس الاجتماعي في مجتمع محلي، والتي تقوم على الثقافات الفرعية" (روبرت إيمرسون & راشيل فريتز، 2010، ص13). بما يناسب هذه الظاهرة وطابعها المليء بالممارسات الدينية والطقوسية، التي تجمع بين العروض الفرجوية والقصائد الدينية والألبسة والمأكولات... إلخ، وكانت تقنية الملاحظة بالمشاركة وهو "محاولة الملاحظ المشارك فهم الإطار المرجعي للجماعة التي يدرسها بمشاركته نشاطاتهم اليومية للتعرف على أسلوب حياتهم" (روبرت إيمرسون & راشيل فريتز، 2010، ص14)، والمقابلات النصف موجهة للعديد من الفاعلين، كمسؤول الإقامة التقليدية بقصر واروروط (عبد الوهاب)، والسيد تلماتي عبد القادر مختص بتاريخ المنطقة وعضو بجمعية واروروط للتضامن وإحياء التراث ببني عباس، وبعض السياح من مختلف مناطق الوطن كانوا متواجدين في فعاليات الاحتفال بالمولد النبوي.

استعنا أيضا بالصور الفوتوغرافية؛ حيث التقط بعضها من السيد عزيز سفيان، والبعض الآخر من طرفنا؛ لاستظهار كل مراحل الاحتفال وتفصيلها، رغم مواجهتنا لصعوبات ميدانية؛ كرفض بعض النسوة التصوير بالحضرة؛ والاقتراب من ساحة المسرح عند الاستعراض.

### ثانيا- الدراسات التاريخية

#### 1- ظهور الاحتفال بالمغرب الكبير :

كانت الانطلاقة الفعلية للاحتفال بالمولد النبوي في المغرب الكبير بمنطقة مدينة ندرومة (ولاية تلمسان)، منذ عهد أبو حمو موسى الثاني الزياني، الذي شهد الاحتفالات الرسمية ومنها الاحتفال بالمولد النبوي، فشهدت منطقة تلمسان هذا الاحتفال بسبب خضوعها للحكم المريني في فترة 738هـ إلى 749هـ، واكتسى حلة جميلة وطابعا شعبيا ورسميا منذ تولي أبو حمو موسى للعرش الزياني، لأنه عاش في

مدينة فاس وتونس والأندلس؛ وشاهد الاحتفالات الشعبية والرسمية بها، وكان له شعر كثير في المولديات أي مولد النبوي الشريف (فيلالي عبد العزيز، 1995، ص 270).

تزامن انتصار أبو حمو موسى الثاني في المغرب الأوسط بحلول ذكرى المولد النبوي الشريف، فلم يتوان في انتهاز فرصة الاحتفال به، وأقام بهذه المناسبة حفلا كبيرا، وجعل هذا اليوم من الأعياد الرسمية للدولة، وخصه بعناية فائقة دون غيره.

فكان يدعو كافة الناس؛ خاصتهم وعامتهم، من أعيان المدينة ومختلف الطبقات الاجتماعية، أمراء؛ ووزراء؛ وجهاء وعلماء وشعراء وموظفين ونقباء الحرف المختلفة التي تعجّ بها تلمسان وندرومة، ووضعت إمكانيات مادية لهذا الاحتفال، بوضع الفُرُش والزراي، والتعطير بالمباخر والعطر، وتقديم الأطعمة.

ثم يأتي الذكر والمديح، فيتم إنشاد نظم أبي حمو موسى الثاني، بمدح مولد النبي عليه الصلاة والسلام بمجلس السلطان وقراءة القصائد حتى آخر الليل، "وجيء في آخر الليل بالخرس الشهى الملاذ الحافل الملامح، والمشام المتعدد الخوانات، مما أرحبت ساحته، وطعم الناس بين يدي الخليفة ثم الفواكه الفلحلاء، وشكروا الله سبحانه وتعالى ولم يبرح مكانه حتى صلى صلاة الصبح في الجماعة ثم غدا إلى داره السعيدة" (ابن خلدون يحي، ص 49).

أوصى أبو حمو الثاني ابنه أبا تشفين الثاني بمواصلة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بقوله: "يا بني عليك بإقامة شعائر الله عز وجل، وابتهل إليه في مواسم الخير وتوسل واتبع آثارنا في القيام بلبلة مولد النبي عليه السلام واستعد لها بما تستطيع من الإنفاق العام، اجعله سنة مؤكدة في كل عام، تواسي في تلك الليلة الفقراء وتعطي الشعراء، وإن ركبت فيك الغريزة الشعرية وتحليت بالخلية الأدبية زدت جمالا إلى جمالك، كمالا إلى كمالك فانظم المولديات" (التنسي محمد بن عبد الله، 1985، ص 186)، ليستمر الاحتفال بالمولد النبوي، ولحقه الاحتفال بالسابع المولد في عهد أبو تشفين.

ظل حكام بني زيان يراعون الاحتفال بالمولد النبوي، كأبي زيان محمد بن أبي حمو وأسلافه، فكان يقام الاحتفال حتى طلوع الشمس بالقصائد والمدائح، وفي الصباح تقوم النساء بالزغاريد وزيارة قبر أبي مدين بالعباد (عبد الله حمادي، 1986، ص 275).

## 2- الاحتفال النبوي الشريف بين المقدس والطقس:

منذ العصور الأولى ارتبط مفهوم المقدس بالديانات المجردة والنسقية، فتم إخضاع المقدس من طرف الدين كما وضّحه الزاهي في كتابه "المقدس والمجتمع" (نور الدين الزاهي، 2011، ص 36-37)، فسيلتقي المقدس مع الديني في نوعية العلاقة التي قد يربطها المؤمن مع الأشياء المحيطة به (كائنات مرئية أو غير مرئية)، وداخل هاته العلاقة ذاتها سيحصل الصراع، حيث سيتمحور المقدس هته العلاقة حول نوعية التصور والنهج والإحساس الذاتي، بينما سيدفع الديني، بفضل توسط القول، الإلهي هذه العلاقة نحو أو اتجاه الذات الإلهية. ويتجلى المقدس من خلال بعض الخصائص، والمميزات فيشكل خاصة ثابتة أو عابرة لبعض الأشياء (أدوات العبادة) أو الكائنات (الملك والكاهن) أو الأمكنة أو الأزمنة ليس هناك ما يصلح أن يكون مقرا للمقدس، الذي يخلع عليه سحرا لا يضاها في نظر الفرد أو الجماعة (روجيه كايوا، 2010، ص 37).

لكن نعتبر حسب سياق ورقتنا أن لكل المجتمعات مقدساتها الخاصة بها، والإسلام جاء بنظام يضبط مختلف الممارسات الدينية والتي تحدد مفهوم المقدس عند الفرد، وتتجلى خصائص نظامه الديني فيما يعتقد أفراد اتجاه المقدسات وما يؤدونه من شعائر وطقوس دينية التي تقوم تبعا للنظام الديني، ولما كانت عليه حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أعماله وأقواله وكذلك تعظيم للأمكنة والأزمنة، فأصبحت الاحتفالات والطقوس الدينية تلعب دورا كبيرا في الأسطورة الدينية والتي تعد مصدر العواطف الروحية والدينية اتجاه المقدس، والتي تتسم بالشوق والحنين إلى كل ما يصعب الرجوع إليه، فالاحتفال بمولد النبوي الشريف ما هو إلا إحياء لتاريخ المقدس وجعله ماثلا في صورة جماعية تشارك في معنى الشوق والحنين إليه، فأصبح هذا الاحتفال ذات وظيفة أسطورية في إنتاج المقدس (مشري عز الدين، 2018، ص 55).

الاحتفال بالمولد النبوي الشريف كما نصفه هو طقس احتفالي، أصبح مدلوله يعبر عن موروث اجتماعي وثقافي لكل جماعة إنسانية مهما كانت درجة حضارته أو تخلفها، وبصفتها موروثا ثقافيا ينطوي على كل مكوناته وخصائصه من مقدس ومعتقد وأسطورة وفلكلور، ولها نفس خصائص الثقافة الشعبية من إلزام وقهر واستمرارية وثبات (ثياقة الصديق، 2014، ص 149).

ثالثا: الدراسة الميدانية

1- المقاربة الأنثروبولوجية للمولد النبوي ببني عباس :

المولد النبوي الشريف هو عيد بني عباس السنوي الفريد من نوعه في العالم العربي والإسلامي، تقام فيه احتفالات دينية وفلكلورية عبر المساجد والقصور والواحات والساحات العمومية؛ إذ عرّفت بني عباس ملتقى العديد من الثقافات التي أثّرت مجتمعا بالعادات والتقاليد الفريدة من نوعها فأصبحت من نماذج الإحتفالات الدينية بالمنطقة الصحراوية خاصة.

أصبح التراث هو شكل ثقافي متميز يعكس الخصائص البشرية عميقة الجذور لمختلف المناطق الصحراوية، يتناقل من جيل لآخر، ويصمد عبر فترة زمنية متفاوتة نوعيا ومتميزة بيئيا، تظهر عليه التغيرات الثقافية الداخلية والعادية، ولكنه يحتفظ دائما بوحدة أساسية مستمرة (يوسف محمد عبد الله، 2015، ص2). فالتراث حسب المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - والتي اعتمدها مؤتمر القمة الإسلامي السادس المنعقد في دكاك سنة 1991م والتي تم اعتماد صيغتها المعدلة في المؤتمر الإسلامي الرابع لوزراء الثقافة المنعقد في الجزائر سنة 2004، "يعد مظهرا من مظاهر الإبداع الجماعي للأمة خلال تاريخها الطويل، كما يعدّ التراث أفضل تعبير عن الهوية الثقافية للأمة وذاتيتها الثقافية، ويشمل أشكالاً متعددة ثقافية وفنية وفكرية متوارثة من ماضي الأمة القريب والبعيد (عبد العزيز بن عثمان التويجري، 2011).

إن الإحتفال بالمولد النبوي هو نوع من التراث الثقافي الديني غير المادي، تدرج فيه التقاليد وأشكال من التعبير الشفهي، وفنون أداء العروض، والممارسات الاجتماعية، والطقوس والاحتفالات، والمعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون، والمهارات المرتبطة بالفنون الحرفية التقليدية، وليست هذه اللائحة شاملة بطبيعة الحال حيث أنّها قد تتضمن مصنّفات أخرى من شأنها أن تستوفي المعايير أخرى (شربل نصّار، 2013).

إذ أخبرنا السيد تلماني عبد القادر وهو أحد المتخصصين بتاريخ المنطقة، أن الإحتفال بالمولود في بني عباس له دلالات وقراءات رمزية لا يفهمها إلا المقيمين في المنطقة، إذ أول قبيلة جاءت لهذه المنطقة المهدي بن يوسف وعلي بن يحيى وسيدي الخلفي، وكل واحد مهم بنا قصرنا على حدة، وتجمعهم عين

سيدي عثمان يشربون ويسقون منها، وجعلهم تباعد قصورهم من بعضها يتعرضون لغزو متكرر، ولم يمتلكوا غير البارود للدفاع عن أنفسهم، وبقي الأمر على حاله إلى أن جاء الشيخ والفقير المرابطي محمد بن عبد السلام الذي كان متوجهاً إلى توات، فقدم مساعدة للقبائل حتى تتغلب على الغازين من خلال بناء قصر واحد وتحديد هندسة فريدة من نوعها من خلال تصغير الأبواب وتقصير طولها وإكثار المداخل والمخارج حتى يتوه العدو، وبالتالي التغلب عليه، وكانت هذه البداية لبناء مدينة بني عباس وتحولت القبائل من التناحر إلى التصاهر؛ فكان هذا السلم موازيا لمولد الرسول عليه الصلاة والسلام، فتحولت هذه المناسبة الدينية إلى احتفال ذا مغزى اجتماعي لتضامن القبائل واتحادهم واتفقهم على السلم، ومغزى ديني؛ حيث حافظ المجتمع على طقوسه وممارساته وخصوصيته الثقافية بهذا الاحتفال الذي بقي حتى اليوم يتميز بفلكلور وعروض مختلفة، وتُقل كل ما هو حربي إلى سلمي احتفالي فالدف مثل رمزية قتالية؛ الرقصة عبارة عن مشية حربية مع تحريك الكتف ورفع الرجل وإنزالها؛ الدندون أو النوبة وهو مثل البندير كان يستعمل في الحرب، وأخيراً البارود الذي كانوا يتقاتلون به، أصبح يطلق في الهواة تعبيراً عن الانتصار والسلم والأمن والفرح، ليس هذا فقط بل أصبحت كل عائلة عريقة بالمنطقة تتوارث عبر الأجيال مهمتها في الاحتفال، فالتى تجمع المال والتي تقيم الحضرة والتي تقوم بالإطعام وهكذا تجتمع كل عائلات المنطقة وتتضامن بشكل مستمر (كل سنة) لتبقي منطقة بني عباس زاخرة بالحفل المراسمي السنوي كشعيرة منفردة عن باقي المناطق؛ وتصبح من مقومات الدينية بالجزائر.

يتوافد إلى هذه المنطقة بمناسبة المولد النبوي الكثير من المحليين والأجانب، التقينا بهم على مُدرَج المسرح من مناطق مختلفة (تلمسان، وهران، مستغانم، العاصمة...) وحتى من مدينة بشار، فالبعض ينتهز فرصة زيارة أحد أقاربه ببني عباس والمشاركة بالاحتفالية، مبحوثة (50 سنة): "لقد أتيت لزيارة أختي القاطنة ببني عباس وانتهزت الفرصة للمشاركة بالاحتفال الديني فهو يزخر بتراث عريق، ومشاهد روحية لا نجدها بالمناطق الأخرى"، مبحوثة (60 سنة) مع ابنتها: "أتيت خصيصاً للمولد النبوي فقد حدثني عنه قريبي ودعتني لزيارتها بهذه المناسبة"، والبعض الآخر يأتي في إطار برنامج سياحي للمنطقة خصيصاً بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف كنموذج للحفل الديني الذي نحن بصدد دراسته بهذه الورقة، وهو دراسة

الحفل المراسمي لأشكال الأداء السلوية وسياقها الثقافي والاجتماعي والطقسي (محمد حسن النوي، 2012، ص50).

وصادفنا 30 سائح محلي كان يقيم معنا بالإقامة التقليدية والقادمين من وهران؛ كان ممزوجا بالنسوة والشباب والعائلات، وحسب مُنظمة هذه الرحلة أن المولد النبوي أصبح أحد المعالم الدينية الأكثر رواجاً في السنوات الأخيرة ولاحظنا ازدياد الطلب المشاركة عليها من طرف المواطنين لتعطشهم في اكتشاف طقوس وشعائر الدينية للمناطق الصحراوية لثراء مشاهد الفلكلور المحلي في هذه الاحتفالية، أمّا عدد الحاضرين في المدرج -المسرح- للفرجة حوالي 1000 شخص من الرجال والنساء وحتى الأطفال، كما صرّح لنا السيد تلماني عبد القادر أن بني عباس تستقبل بهذا الاحتفال حوالي 5000 زائر، إلى درجة أن العائلات ببني عباس تفتح منازلها لاستقبال العائلات وإطعامهم، فهم يعتبرونهم ضيوفا وليسوا زوارا، أما الأجانب فكانوا بشكل ضئيل لا يتجاوز 50 فردا، ممّا يستوجب حسب السيد تلماني إجراءات أمنية كبيرة.

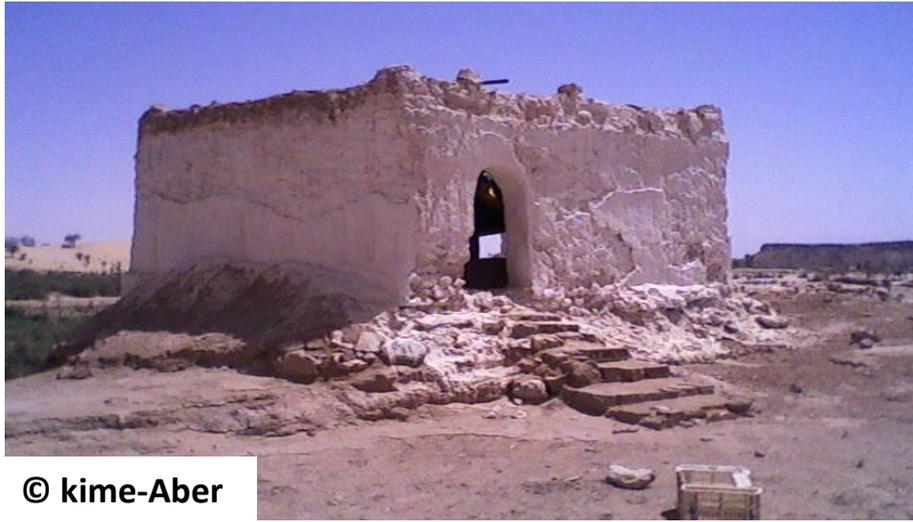
## 2- الخصوصية الاحتفالية الدينية بين الموروث والفلكلور ببني عباس:

يبدأ الاحتفال في الليلة الأولى من شهر "ربيع الأول" حتى ليلة المولد؛ الثاني عشر من نفس الشهر، وعلى طيلة إحدى عشرة ليلة، من بعد صلاة المغرب يشرعون في قراءة الحزب الراتب، ويكون في الليلة الأولى والثانية قراءة مدائح البردة للإمام البوصيري، ومن الثالثة إلى العاشرة قراءة مدائح الحمزية للإمام البوصيري، وفي الحادية عشر قراءة مدائح البغدادي من الواحدة ليلا إلى طلوع الشمس، وتقدم دروسُ السيرة النبوية مع الصلاة على النبي، تحتّم المدائح خلال هذه الأيام بـ "التّرحام" (ارحمني يا الله...)، ويكون "الفتوح" بمدائح (طابت الجنة وفرحت...)، وفي اليوم السابع بعد المولد أي يوم 19 ربيع الأول وما بين صلاتي الظهر والعصر يقرأ ما تبقى من قصيدة البغدادي.

## 1.2- نّهار الفضيلة:

تقوم بعض العائلات في نّهار الفضيلة وهو العاشر، بصباغة الأضرحة والمسجد العتيق في الصباح، كضريح سيدي الحاج محمد بن أحمد؛ وهو ولي صالح من أولاد علي بن موسى، توجد قبّته في مدخل

المدينة على الضفة اليمنى لواد الساورة داخل مقبرة قديمة، وأيضاً سيدي احمد بن عبّو ولي صالح من أولاد مهدي وغيرهم، أمّا بعد الظهر تبدأ زيارة أولياء الصالحين رفقة تلاميذ الكتاتيب.



© kime-Aber

صورة رقم 01: تبين قبة سيدي الحاج احمد بن أحمد.

## 2.2. النوبة:

طيلة العشر أيام الأولى من ربيع الأول تقام احتفالات (محمد صلوا عليه)، وفي اليوم الحادي عشر مساءً (بعد صلاة العصر) يقام ما يسمى بـ"النوبة"، فيجتمع النسوة في مكان يسمى المسرح حيث توجد ساحة دائرية ومدرج، والرجال بالمقابل من الجهة الأخرى، ويأتي كل سكان ولاية بشار وغيرهم من مختلف الولايات وحتى السياح الأجانب.



© kime-Aber

صورة رقم 02 و 03: تبين المسرح المخصص لعروض احتفالية المولد بني عباس.  
تبدأ الحلقة المتكونة من أعيان ومشايخ المنطقة وممثلي المجتمع المدني ومسؤولين بقراءة سورة الفاتحة مع  
رفع راية التوحيد -مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله - خضراء اللون وعلم الجزائر والدعاء.



© kime-Aber

صورة رقم 04 : تبين حلقة الشيوخ والمرابطين ببني عباس وكبار العائلات للدعاء.

يتم إحضار المواليد الجدد ويحملون معهم غصن من شجرة النخيل تسمى "الجريدة"، تيمنا بالرسول عليه الصلاة والسلام حتى يكون له مستقبل زاهر، ويكتب عليها آية الكرسي حماية لهم - كما ذكرت أحد النسوة من المنطقة-، وهناك من حملن معهن الورد، وتحضّر له أكلة خاصة ويرتدي لباسا تقليديا، ثم يقوم أحد رجال الحلقة يسمونه "المرابط" بحمل الطفل والدوران به في الحلقة للقال؛ أي حتى يتترك الطفل بهذا الجمع الصالح ويتعود على صوت البارود ليصبح مستقبلا رجل البارود، يعتبر هذا الاحتفال عملية نقل للموروث الثقافي عبر الأجيال، واكتساب الأطفال الممارسات من خلال مشاركتهم مع الكبار في فعاليات الاحتفال، وهذا ما لاحظناه؛ إذ أن الأطفال الصغار لا يخافون من صوت البارود، يطلق البارود، ثم تعلق زغاريد النسوة؛ وزغردة المولود هي خاصة به وتختلف عن زغاريد الاحتفالات الأخرى.



صورة رقم 05 : تبين مشاركة الرضع والصغار في احتفالية المولد.



صورة رقم 06: تبين أول طلقة بارود يسمعاها صغار بني عباس.

ثم يبدؤون بالصلاة على النبي وتختلف المقاطع كل نصف ساعة بعد إطلاق البارود بشكل جماعي، والضرب على النوبة أو الدندون، وتمثل هذه المقاطع من خلال ترديد "البشير النذير"، "علي محمد

صلّوا على البشير" فيردد الحضور "رسول الله الشفيع"، "أبو لآلة الرسول"، "اللهم صل عليك يا مولاي محمد الله يعاونو بالخير".

تتجمع فرق البارود تدريجياً حتى تمتلئ ساحة المسرح، يقوم رجال البارود بالرقص من خلال رفع قدم وإنزال أخرى واضعين يدهم على كتف بعضهم البعض، مرتدين اللباس التقليدي، ويحملون معهم حقائب جلدية تحوي كمية من البارود (لا تتجاوز واحد كيلوغرام)، ويكون إطلاق البارود بإشارة من قائد الجماعة يطلب مهم القيام والجلوس ثلاث مرات إلى أربعة ثم يعطيهم الإشارة، كأنك أمام مشهد قتالي لمحاربين في معركة تترجح فيها الحركات وطلقات البارود ولباس أصحاب البارود ولثامهم، وهذا ما يعطي رمزية قوية لهذا الاحتفال وامتزاجه بتاريخ وموروث منطقة بني عباس.



صورة رقم 07: تبين رجال البارود وأحد قائد فرقة البارود وهو بالاستعراض.

وقبل الانتهاء بنصف ساعة يرددون: "عقبال للقابل الصحة والعافية، نكونو حين وسالمين إن شاء الله"، ثم تلتف مجموعة من الرجال حول قائد المجموعة الذي يحمل راية التوحيد لاختتام الحلقة بالذكر ثم طلقات البارود ويتفرق الناس، ليبقى بعض من رجال البارود الذين يستمرون في إطلاق البارود على الناس

(رجالاً ونساءً) بطلب منهم؛ لأن هناك اعتقاد أن ضرب البارود في الرجلين يفك رباط العازبة والمرأة العقيم، ثم يتوجهون لأكل الطعام وتوزيعه في المساجد - أين يواصلون الذكر إلى الصباح - في مكان بيت يسمى "مناته" أي "من أتى" وتتكفل به عائلة أولاد مهدي .

### 3.2. الحضرة:

بعد صلاة العشاء تتوجه النسوة المقدمات إلى إقامة "الحضرة" - وهي خاصة بمن فقط - وهو بيت فيه خمسة غرف وحوش خاص بهذه المناسبة يتجمعن فيه تتوسطهن أربعة يحملن البندير ويبدأن بترديد المدائح الدينية، صلاة على الرسول "داوي ما بيا يا سيدي رسول الله"؛ "يا سيدي عام السنة بغيت نعول، ياناس الحال باش تكونوا شاهدين من صغري وأنا خديم الجيلالي صلوا على النبي على الحبيب رسول الله صلي الله عليه وسلم"، "كل واحد يلقي ميزانو ما نحسب الموت كاينة وبنادم غدار يا حسراه وين بآ وما منين كانوا ليا جيران"، مع التصفيق والجديب وهو نوع من الرقص يفقد الإنسان فيه شعوره بالوجود ففي الأغاني يقولون: "الحضرة سايبية وقاعد يحضر ما يحضر غي لي قلبو معمر".

لاحظنا أن نسوة بمختلف أعمارهن يرددن بشكل تلقائي هذه المدائح، ويشاركن كل سنة ويرتدين أحسن ما عندهن ويتزين، فتصبح الحضرة عبارة عن فضاء نسوي، وفي تصريح لأحد المشاركات (30 سنة) أن المولد النبوي بالمنطقة هو عيد سنوي، تقتني فيه النسوة ألبسة جديدة، وأوان، وتزين منازلهن؛ وتتمن بزيارة الأضرحة وتشاركن بالحضرة حتى الساعة الثانية عشر ليلاً، فهي مناسبة دينية واجتماعية لتلاقي نسوة المنطقة أي أنه متنفس لهن.



© kime-Aber

صورة رقم 08: تبين حضرة النساء بأحد منازل المخصص للاحتفال بالمولد النبوي.

4.2. الفرعة:

في يوم الغد أي الثاني عشر من ربيع الأول تمار الفرعة صباحا بعد صلاة الصبح يتجمع الأهالي والسياح بالمسرح انتظارا لأصحاب البارود الذين يأتون بالمديح والأهازيج، منطلقين من الواحة المتواجدة بمدخل بني عباس.



© kime-Aber

صورة رقم 09: تبين عروض فرق البارود في المسرح يوم الفرعة.

## مجلة أنثروبولوجية (الأوبان) المجلد 18 العدد 02 2022/06/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

تنطلق المجموعة الأولى من جديد على شكل مسيرة كبرى بالمدائح والأهازيج مروراً بغابة النخيل نحو القصر، وهم يرددون (محمد صلوا عليه)، ثم تنطلق المجموعة الثانية متوجهة عبر الغابة إلى طريق المسبح والقصبية، فيبدأ المشهد القتالي لطلقات البارود بشكل متتالي للمجموعتين حتى تصل الثانية إلى الأولى بزغاريذ النساء والمديح وسط إنبهار السياح وتمتع أفراد المنطقة بهذا الفلكلور العريق والذي يمثل استثمار حقيقي في مجال السياحة الدينية وتتمين فعال للمحافظة على هوية أصحاب البارود بني عباس.



© kime-Aber

صورة رقم 10 و 11: تبين انطلاق المشاركين بالفرعة وفرق البارود

دار الحيبوس المتواجد بالقرب من مسرح بني عباس وهو لعائلة أولاد رحو، التي تقوم بتوزيع طعامٍ عبارة عن الكسكس يوم المولود على الزوار وأصحاب البارود، والحليب والتمر لعائلة محمدي ويوزع في الفرعة عند تردد فرق البارود والسياح وأهالي بني عباس على هذا المنزل.



© kime-Aber

صورة رقم 12 و 13: صورة تبين دار الحيبوس وتوزيع التمر والحليب.

يعود الجمع إلى المصرية أين يلتقي بالطراة؛ التي طافت كل الأضرحة والأماكن العتيقة ثم يلتقي الجميع في الساحة عند نقطة الانطلاق وهم يرددون (محمد صلوا عليه) .

لتأخذ الفرعة شكلا آخرًا من الاحتفالية؛ حيث يجوب سكان المنطقة والسياح وأصحاب البارود كل من الواحة والقصر العتيق، وتتعالى أصوات البارود على طول النهار، وزغاريد النسوة والتهليل والتكبير الذي يحيي المنطقة ويكسبها طابعا احتفاليا دينية طقوسيا وقدوسيا.

**خاتمة:**

يعتبر الاحتفال بالمولد النبوي الشريف شعيرة مميزة يعرف بها مجتمع بني عباس في منطقة الساورة، حيث تعبر عن أصالة سكان المنطقة ومدى اهتمامهم بالتراث الديني، خاصة وأن الاحتفال تزامن مع

مبادرة سلمية لوقف الصراع والقتال بين القبائل، فهو متوارث منذ آلاف السنين، لذا يعتبر من الاحتفالات الدينية الشعبية التي ترمز للتلاحم الاجتماعي، ويظهر ذلك من خلال التضامن والاتفاق على كيفية تسييره منذ الأزل، كما يشارك فيه الأطفال بغية الاستمرار مستقبلا على درب القدماء. أصبحت هذه المناسبة تفرح الجانب الروحاني، الشعائري، مما يجذب الزوّار من ولايات الوطن وكذا الأجانب، وهي أيضا فرصة لاستكشاف العادات والتقاليد التي تشتهر بها المنطقة واستشعار كل ما هو طقوسي، ينتقل عبر الأجيال، وما يحمله من قصص واسباطير ومشاهد قتالية ومدائح. مما يظفي على الإحتفال المولد النبوي الطابع الأنثروبولوجي، ومما يجعله موروثا ثقافيا يجب المحافظة عليه وإستمراره عبر الزمن.

عملت السلطات المحلية على احتواء هذا الاحتفال وتبنيه وجعله من المشاريع التنموية، لكنها لاقت الرفض من سكان المنطقة، معتبرين أن هذه الخطوة ستفضي عليه في حال عجز السلطات عن تمويله، كما يتطلع سكان المنطقة إلى إدراج الاحتفال بالمولد النبوي في قائمة التراث العالمي لما يتميز به من طرق احتفالية وذكر ولباس وأكل وغناء ورقص، فيعتبرونه نموذجا حقيقيا لاستعراض الهوية الدينية بني عباس والطريقة الوحيدة لإحيائها من خلال مناسبة مقدسة وهي المولد النبوي الشريف.

قائمة المراجع :

➤ اللغة العربية

الكتب :

1. إبراهيم حركات (1978)، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1.
2. ابن خلدون يحي (1980)، بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد وما حازه أمير المسلمين مولانا أبو حمو من الشرف الشاهق الأطواد، تقديم وتحقيق وتعليق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، ج2.
3. التنسي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل الحافظ (1985)، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق وتعليق محمود بوعباد، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر.

4. روبرت إيمرسون، راشيل فريتز، لندا شو (2010)، البحث الميداني الإثنوجرافي في العلوم الاجتماعية، ترجمة هناء الجوهري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة الطبعة الأولى.
5. روجيه كايوا (2010)، الإنسان والمقدس، ترجمة: سميرة ريشا، مراجعة: د. جورج سليمان، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى.
6. عبد الباقي أحمد خلف (2017)، الحوار في السيرة النبوية، صور ومشاهد حية من سيرة رسول الله، دار الفكر، دمشق.
7. عبد الله حمادي (1986)، دراسات في الأدب المغربي القديم، دار البعث، قسنطينة.
8. محمود علي مكي (1991)، أدبيات المدايح النبوية، دار نوبار، القاهرة، ط1.
9. نور الدين الزاهي (2011)، المقدس والمجتمع، إفريقيا الشرق، المغرب.

#### المقالات :

1. قويسم محمد، الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في منطقة تلمسان خلال العهد الزياني، مجلة الحوار المتوسطي، مجلد8، عدد1، مارس 2017.
2. مشري عز الدين، بنية المقدس في الإسلام وعلاقته بالاختلافات العقائدية، مجلة التدوين، العدد11، 2018.

#### الأطروحات الجامعية:

1. ثياقة الصديق، المقدس والقبيلة الممارسات الاحتفالية لدى المجتمعات القصورية بالجنوب الغربي الجزائري زيارة الرقاني نموذجاً-، رسالة دكتوراه علوم في علم الاجتماع، جامعة وهران، 2013-2014.
2. فيلالى عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، ج1، رسالة الدكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ جامعة الجزائر، 1995.

#### المواقع الإلكترونية:

1. أبوري خديجة، الاحتفاء بالمولد النبوي الشريف عند المغاربة - تاريخه ومظاهره، تم الإطلاع عليه في <https://www.arrabita.ma/blog/2020/11/30/الاحتفاء-بالمولد-النبوي-الشريف-عند-ال->

2. شربل نصّار، التراث الثقافي غير المادي في لبنان على ضوء التجربة العالمية، أيلول /سبتمبر 2013، تم الإطلاع عليه 2020/12/04. [http://www.modernheritageobservatory.org/resources/files/1393501849-](http://www.modernheritageobservatory.org/resources/files/1393501849-Lepatrimoine-culturel-immateriel-au-Liban-ARABIC.pdf)

[Lepatrimoine-culturel-immateriel-au-Liban-ARABIC.pdf](http://www.modernheritageobservatory.org/resources/files/1393501849-Lepatrimoine-culturel-immateriel-au-Liban-ARABIC.pdf)

3. عبد العزيز بن عثمان التويجري، التراث والهوية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - الرباط : المملكة المغربية، 1432 هـ / 2011 م ، تم الإطلاع عليه يوم 2020/12/08.

<http://www.unesco.org/new/ar/cairo/culture/tarigible-culture-heritage>

4. محمد التهامي الحراق الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، ودوره في تشكيل فن السماع بالمغرب، -02-2012-03، تم الإطلاع عليه في 2020/11/12. <https://www.arrabita.ma/blog/> الاحتفال-بالمولد-النبوي-الشريف،-ودور/

5. محمد بن مرزوق التلمساني (2004)، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق: د. ماريا خيسوس بيغيرا، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر. 1. Noor-Book.com  
-المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ل ابن مرزوق أبو عبد الله بن محمد التلمساني ت ه م.pdf

6. محمد حسن النوي، المفهوم الأنثروبولوجي للطقس المسكوت عنه في الأبنية الاجتماعية، جريدة مسرحنا، العدد 120، يناير 2012، تم الإطلاع عليه يوم 2020/10/14. <http://www.masrahona.com/item/523/المصطبة-الأنثروبولوجي>

7. يوسف محمد عبد الله (2010)، الحفاظ على الموروث الثقافي والحضاري وسبل تنميته، جامعة صنعاء، ص2، تم الإطلاع في 2020/11/15. <https://www.yemen-tourism.gov.ye/files/tourism/studies/hefath.pdf>

➤ اللغة الفرنسية :

1-Bastide Roger, Le sacré sauvage, Paris, Payot, 1975.